مناقشة لتصريحات بشير البرغوتي

الحركة الوطنية الفلسطينية بين نهجين :

① النهج التطوري المساوم
② النهج الجذري المقاتل

ان التفسير الوحيد لهذا الانفصام بين ما يلتزم به الحزب الشيوعي نظريا وما يمارسه عمليا هو انه تحريف صارخ . وينطلق بعبثية واضحة . وفهم انتقائي . لفصله عن ارض الواقع وحركة الفعل المؤثرة والصاعدة مسافة بعيدة . ونعيد هنا الى الاذهان تعريف جورج لوكاش لمباديء التحريفية اذ يقول : « ماهي التحريفية ؟ ان التحريفية تسعى اولا الى تجاوز وجهة نظر المادية التاريخية التي ترى الى جميع ظاهرات الواقع التاريخي – الاجتماعي من وجهة النظر البروليتاريا الطبقية وحدها لا غير . ونقطة الانطلاق التي اختارتها التحريفية هي مصالح « المجتمع باسره » ولكن لما لم يكن من وجود عيني لهذه المصالح العامة ليس في الواقع سوى المحصلة المؤقتة لتفاعل وتداخل مختلف القوى الطبقية المتصارعة ، فان التحريفي يفهم نتيجة الصيرورة دوما وهكذا فانه يجعل الامور حتى من وجهة النظر النظرية ايضا تسير على رأسها . اما من وجهة النظر العملية فان التحريفية هي في ماهيتها وبالضرورة تسوية وحل وسط ، حتى ولو لم نأخذ بعين الاعتبار غير نقطة انطلاقها وحدها ، وهي دوما انتقائية » ويضيف لوكاش حول التحريفية « تتبنى التحريفية ، ما يسمى بالسياسة الواقعية . فهي تضحي دوما بالمصالح الحقيقية لمجموع الطبقة العاملة ، وتوجه تهمة الطوبائية الى كل دفاع متماسك عن هذه المصالح على مذبح الدفاع عن المصالح المباشرة لبعض الفئات » .

وعن وصف بشير البرغوتي العمل الفدائي « بنشاطات تخريبية » – يقول الميثاق الوطني المقابل : « العمل الفدائي يشكل نواة حرب التحرير الشعبية الفلسطينية وهذا يقتضي تصعيده وشموله وحمايته « لا التشهير والتسخيف » . وتعبئة كل الطاقات الجماهيرية والعلمية الفلسطينية ، وتنظيمها واشراكها في الثورة الفلسطينية المسلحة » ... الميثاق الذي يلتزم به البرغوتي وجماعته نظريا ويدعوهم الى « تنظيم الجماهير الفلسطينية واشراكها في الثورة المسلحة » مزقه تصريح « السلام والتعايش » لبشير . ووجه اهانة الى مبدا الكفاح المسلح ورواده وكانما يدعو جماهير الارض المحتلة الى الابتعاد عن حرب العنف الثوري ضد الكيان الصهيوني واتباع نهج الحزب وسياسته السلمية المتناقضة مع « النشاطات الفدائية التخريبية » .

الى ماذا يستند الرفيق بشير البرغوتي في ادانته للكفاح المسلح وطرح البديل « حل سلمي واعتراف متبادل » لشعب « دولة اسرائيل » ؟

هل يستند لاسس نظرية ، وتحليل لواقع الشعب الفلسطيني ، ولمعضلة الصراع العربي – الاسرائيلي حتى خرج باستراتيجية الحل والتعايش السلمي والاعتراف وعلى خطى التطور البطيء المسالم – ام ماذا ؟

ان لقضيتنا الفلسطينية خصوصية ذات سمات وابعاد لا بد من معرفتها واستيعابها لكيما نكون قادرين على تحديد الاسلوب والوسيلة الملائمة لتحقيق هدف التحرير .

ان الثورة الفلسطينية « ثورة مركبة » كما انه وبنتيجة الاحتلال وطابعه الاستيطاني وركائزه ، والقوى العالمية الراسمالية التي يستند اليها من جهة ، وتشتت شعبنا في الخارج . وطبيعة تركيبه وتعبيراته السياسية المتعددة ومنشؤها . بالاضافة الى طبيعة ودور الانظمة العربية المحيطة والتي تؤثر بهذه النسبة او تلك في حركة الفعل الفلسطينية الثورية بما يخدم استراتيجيات تلك الانظمة من جهة اخرى فان الطريق الوحيد لحسم التناقض التناحري بين قوى الثورة الفلسطينية والعربية ، وبين الكيان الصهيوني هو طريق الكفاح المسلح وحرب التحرير الشعبية . وليس طريق التعايش السلمي والتطور البطيء . وها هي انتصارات ثورة الفيتنام وكمبوديا وقبلها كوبا والجزائر واليمن الجنوبي دليلا حيا يدحض اية افتراءات او مفاهيم مغلوطة عن اسلوب النضال الحاسم والملائمة لتحرير الوطن ولحسم التناقض مع الاعداء في ظل ظروف ومواصفات محددة مثل التي نحن بصددها .

في تقريره المقدم الى المؤتمر الثاني للمنظمات الشيوعية لشعوب الشرق المنعقد في ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٩ صاغ لينين مهمات الاحزاب الشيوعية للبلدان المستعمرة ، والتابعة في المرحلة الاولية للحركة الشيوعية في الشرق : « على اساس النظرية والممارسة العامتين للشيوعية يتوجب عليكم بتكيفكم مع الظروف الخاصة غير الموجودة في البلدان الاوروبية ان تتعلموا تطبيق هذه النظرية وهذه الممارسة العملية هناك حيث يشكل الفلاحون الكتلة الرئيسية . وحيث يتعلق الامر بالنضال .. » ، وتطبيق النظرية من خلال الممارسة العملية على ضوء ظروفنا تتجسد من خلال ممارسة العنف الثوري المسلح الذي يخاض الان في اكثر من منطقة ويثبت فعاليته كارقى شكل من اشكال النضال ضد عدو عنصري يحتل الارض ويشكل امتدادا سياسيا واقتصاديا وعسكريا للامبريالية والصهيونية .

ماذا عن البرنامج السياسي لمنظمة التحرير :

حول مهمات منظمة التحرير في الساحة الفلسطينية . يقول البرنامج :

١– مواصلة النضال والكفاح المسلح لتحرير كامل تراب الوطن الفلسطيني لاقامة المجتمع الديمقراطي الفلسطيني الذي يتوفر فيه حق العمل والحياة الكريمة لكل المواطنين ليعيشوا بمساواة وعدل واخاء ، وضد كافة اشكال التعصب العنصري او العرقي او الديني .

فهل الدعوة العلنية لبشير البرغوتي تتفق مع هذا البند الثابت والقاطع في رفض الاحتلال وضرورة تدمير كيانه « بالنضال والكفاح المسلح وحرب التحرير الشعبية » ؟

وقبل هذا التاريخ بكثير كتب لينين الرفيق الامين لتراث الماركسية وتطورها المبدع ، والتلميذ الفذ لمعلما الطبقة العاملة ماركس وانجلس – كتب لينين في حزيران تموز ١٩٠٥ يقول : « ان القضايا الكبرى المتعلقة بحياة الشعوب لا تحل الا بالقوة . ان الطبقات الرجعية (الا اذا كان البرغوتي لا يعترف بان الطغمة الحاكمة في اسرائيل طغمة رجعية) هي اول من يلجا عادة الى العنف ، الى الحرب الاهلية ، الى وضع الحراب على جدول الاعمال .. »

ام ان خط الرفيق بشير هو « العدول عن الثورة مع الاعتراف بها بالكلام .. » ؟

وحول التهمة الموجهة له ولرفاقه : « يقول بشير البرغوتي : « تهمة سخيفة من اجل ابعاد شيوعي اخر ونصير سلام من بين الجماهير . ومن اجل اتهامنا نحن الشيوعيين . وكاننا مشتركون في نشاطات مغامرة تتناقض وسياسة حزبنا .. »

اذن فبشير البرغوتي ينفي عن نفسه ورفاق حزبه تهمة « المغامرة السخيفة » . والبعيدة عن الروح الديمقراطية التي يتمتع بها . وكما انه من انصار السلام والديمقراطية . وينادي بالتعايش مع « الشعب الاسرائيلي والدولة الاسرائيلية » . ويستهجن تهمة سلطات الاحتلال له ولرفاق حزبه بانهم ساعدوا او شاركوا في نوع من انواع العمل ضد قوات الاحتلال ، والتي تسيء الى « امن اسرائيل » ..

بصراحة فان مثل هذا الكلام الاشد اثارة للقرف والاستنكار يدعونا لسؤال بشير البرغوتي : هل الاساءة « لامن اسرائيل » يعد في « استراتيجيتكم » من ضمن « النشاطات التخريبية » . وهل العمل الفدائي المسلح ضد الكيان العدواني حتى ولو في حدود الدنيا اصبح تهمة سخيفة . تتناقض وسياسة الحزب » وطريق السلام وانصاره ؟ والانتفاضات المسلحة ، هل هي الاخرى خطا مشين تستعيبون منه ؟ !

اذن اين هي استراتيجية الحزب وتاكتيكاته وشعاراته المرحلية لتعبئة الجماهير ضد الاحتلال والطبقات الرجعية المسيطرة على هرمه ؟ واين ذهبت عشرات السنين من عمر الحزب ونضاله . وكيف توفقون بين وجودكم في منظمة التحرير او الجبهة الوطنية وبرنامجها السياسي والتنظيمي الذي يتناقض تماما وكل هذه التصريحات . والهذر الفارغ الذي يسيء الى اي فلسطيني وعربي – اذا كانت صحيح تصريحات البرغوتي تمثل وجهة نظر الحزب ؟ !

اننا ندعو « الرفيق بشير البرغوتي » وكل احزاب النضال السلمي والتعايش الديمقراطي الى التعلم من الخبرة الثمينة التي وفرتها الثورة الفيتنامية الظافرة التي تقود يوميا باتباعها اسلوب حرب الشعب طويلة الامد انتصارات مذهلة تخرق اذان وتصريحات انصار التطور البطيء ، والتعايش مع الدولة الاسرائيلية » . يقول الرفيق لي ذوان :

« من اجل السير بالثورة نحو النصر فانه من المهم قبل كل شيء تحديد الاتجاه والاهداف الاستراتيجية العامة تحديدا سليما . وبالمثل تحديد الاتجاه والاهداف المحددة لكل مرحلة . ان اساليب العمل الثوري تستهدف اساسا الحاق الهزيمة بالعدو باكثر الطرق فائدة ، كما ان النظر الى النضال من اجل المكاسب اليومية الصغيرة . ومن اجل الاهداف المباشرة على انها « كل شيء » والنظر الى الهدف النهائي باعتباره « لا شيء » والتضحية بمستقبل الحركة من اجل الحاضر انما يكشف عن اسوا انواع الانتهازية . وهو ما لا يمكن ان يترتب عليه الا بقاء الجماهير في اغلال العبودية الى الابد . ان الطريق الوحيد للسلطة في كل الظروف هو الثورة ، وليس الاصلاح . والثورة تاتي لقمة للصراع الطبقي ، ويتم انجازها دائما باستثارة عنف الطبقات المقهورة ضد الطبقة الحاكمة » .

ومن جهة اخرى فاننا ومن حيث الجوهر لا نغفل على الاطلاق النضال والعمل السياسي المكمل والمترابط مع النضال المسلح في مسالة الصراع والتصدي للعدو الصهيوني بهدف قيادة الجماهير في هباتها المتواصلة ، وتحطيم قبضة العدو بالعنف الثوري المسلح . وتحرير الارض المحتلة والظفر بالسيادة للجماهير والمحافظة عليها .

اما اذا كان الرفاق في الحزب الشيوعي الفلسطيني يعتمدون الطريق البرلماني او معجبين بتجربة الليندي في تشيلي . ونهايتها الماساوية التي اصبحت معروفة . فهذا امر اخر يحتاج توضيحه لموقف رسمي . حين اعلن حزب العمل الاشتراكي الالماني برنامجه عام ١٨٧٥ في مؤتمر غوتا . وصفه ماركس بانه برنامج مصاب بداء المذهب الاختياري في صياغة المباديء . فهل نحن امام مثل هذه الحالة . وذلك البرنامج ؟ .

وفي مجال اخر وتحت عنوان « هدف نضال البروليتاريا في ثورتنا » كتب لينين عام ١٩٠٩ « .. وبدون استيلاء الطبقات الثورية على السلطة السياسية لا يمكن ان يكون هناك نصر . ان التخلي عن هذه الحقائق يصم حتما الاشتراكية الديمقراطية بالتذبذب بـ « حركة بلا هدف » وحتى في بعض الاحيان بالمناداة بالمساومات على حساب المبدئية وعمليا يعني هذا على وجه الضبط الوقوع في اسر الكاديت « حزب البورجوازية القيصري » اي اخضاع الطبقة العاملة للبورجوازية الليبرالية – الملكية المعادية للثورة » .

ان العنف الثوري يجب ان يعتمد على نوعين من القوى : المسلحة والسياسية . ويتضمن اسلوبين للنضال : النضال المسلح والنضال السياسي مع الجمع بين الاسلوبين .

ان عدم الجراة على بدء نضال مسلح حين تبرز الحاجة اليه هو خطا كبير وتحريفي يندرج تحت اردا انواع الانتهازية .

اننا ولمصلحة النضال الوطني الواحد . ولمصلحة الرفاق في الحزب الشيوعي الفلسطيني . وجماهيرنا الفلسطينية . وحفاظا على قيمة الخط الايديولوجي الذي ينطلق منه الحزب الشيوعي . وايمانا منا بان هذا الحزب جزءا من الحركة الوطنية الفلسطينية . وانطلاقا من مبدأ مناقشة القضايا المصيرية وما يتعلق بها بصوت مسموع وبصراحة موضوعية تستهدف الوصول الى الحقيقة فاننا نطلب من رفاقنا في الحزب الشيوعي الفلسطيني ان يبادروا بتحديد الموقف ويوضحوا امام الجماهير حقيقة الامر . وهل تصريحات الرفيق بشير البرغوتي تعبر عن خط الحزب ام ماذا ؟

●●

قيادة منظمة التحرير تحث خطاها الاستسلامية على طريق جنيف ..

تشير القراءة الاولى للاحداث السياسية على صعيد المنطقة العربية ان مرحلة ما بعد فشل كيسنجر قد بدات مع تحركات كافة الاطراف في المنطقة تحت مظلة الذهاب المرتقب الى جنيف ، فعلى صعيد حركة المقاومة بدا الطرف المستسلم عمليا سلسلة من التحركات السريعة باتجاه كافة الانظمة العربية المستسلمة وخاصة النظام « المصري » والذي يعتبره هذا الطرف الحلقة المركزية للتحرك نحو « جنيف » .

من هنا كانت زيارة ابو عمار تنسيقا وانسجاما مع البحث عن حل يحفظ لهذه « القيادة » « ماء الوجه » امام جماهيرها .

وفي القراءة الاولى ايضا للحدث السياسي نلمح مدى تكالب الطرف الفلسطيني وراء الحلول التصفوية ، فخروج عرفات راضيا من القاهرة يعني انه دخل اللعبة السياسية كما بعد فشل مهمة كيسنجر من اوسع ابوابها في اطار البحث الجدي عن تنسيق مصري – سوري – فلسطيني للذهاب الى جنيف كما يقولون « وحدة متماسكة » وبالتالي فان ذهاب المنظمة الى جنيف سيسبقه العديد من المحاولات الجادة عن امكانية تصوير المنظمة واظهارها بمظهر المنتصر ، من هنا كان الايحاء الى الملك حسين بان يدخل طرفا في اللعبة على اساس الضغط على منظمة التحرير الفلسطينية فيما يبدو انها مسابقة «طريفة» نحو الخيانة بين المنظمة والملك ، ففي ندوة لحركة المقاومة والاحزاب والقوى التقدمية اقيمت بمناسبة ذكرى استشهاد القادة الثلاثة اوضح هاني الحسن « ان الذهاب الى جنيف امر ممكن لان عدم الذهاب يعني اتاحة الفرصة امام الملك لامتلاك زمام المبادرة » .

ويوضح هذا المؤشر ايضا مدى الرضى المفعم بالتفاهم والصراحة الذي لاقته زيارات قادة الطرف المستسلم للانظمة العربية . فمصر جد راضية عن منظمة التحرير ومواقفها على حد قول « الاهرام المصرية » جد متناسقة مع موقف منظمة التحرير رغم الاختلاف اللامبدئي على بعض القضايا التكتيكية البسيطة حسب ما اوردته « الاهرام » .

ان البحث عن حل لا يقتضي من نظام السادات ارضاء منظمة التحرير فقط بل ارضاء الطرف الاخر المطالب بالدخول على اساس انه الممثل الشرعي للفلسطينين (الملك حسين) . ومن هنا فان الذهاب الى جنيف يقتضي من « السادات » ان ينسق كافة المواقف كي تصب في الاطار العام للمنهج الساداتي نحو ايجاد حل عن طريق جنيف .

من ثم فان الموقف السوري والذي لا يختلف بشيء عن الموقف المصري بل هو الطرف المتمم لهذا الموقف سيلعب اللعبة الاخرى والاكثر خطرا على مستقبل حركة المقاومة من خلال الوحدة السورية الفلسطينية المقترحة كي يصبح اي تحرك للمقاومة تحت ضغط القاعدة والكوادر « مكبلا » وغير قادر على عدم دخول اللعبة السياسية ، والبعد الاخر لفكرة الاتجاه السوري نحو الوحدة مع حركة المقاومة هو المخرج الاخر لمشكلة تمثيل الفلسطينيين في مؤتمر جنيف اذ يمكن لحركة المقاومة ان تذهب في اطار هذه الوحدة الى مؤتمر جنيف كوفد مشارك مع سوريا اذا لم تستطع كافة الاطراف ادخال منظمة التحرير كطرف مستقل الى المؤتمر .

ايضا هناك التحرك الدولي لمنظمة التحرير الفلسطينية بهدف تعديل قرار (٢٤٢) على اساس ان تعديل هذا القرار سيصور منظمة التحرير الفلسطينية امام جماهيرها وكانها حققت انتصارا كبيرا على القوى المضادة .

ونحن نلمح ذلك في تصريحات ماكغفرن والتقارب الامريكي الفلسطيني باتجاه الاعتراف بها كطرف رئيسي في النزاع ، ومن المرجح ايضا ان يكون هذا التحرك بهدف البحث عن صيغة للدخول الى مؤتمر جنيف لدى انعقاده .

وخلاصة القول ان منظمة التحرير الفلسطينية قد بدأت هذا التحرك باتجاه كافة الاطراف العربية والدولية للبحث عن مخرج مع الباحثين الاخرين بعد فشل مهمة « كيسنجر » ، كي لا يصبح دور هذه المنظمة في لعبة التسوية هامشيا بل مزيدا من الركوع امام الاستسلام .